الانزياح الدلالي في شعر السيد محمد سعيد الحبوبي بين الجمالية والمعيار

The semantic displacement in the poetry of Mr. Muhammad Saeed Al-Haboubi between aesthetic and norm

الدكتور نعيم عموري

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز-ايران (الكاتب المسؤول)

أحمد كاظم نايف

طالب ماجستير اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران اهواز-إيران

DR.Naeem Amouri

Masters student of Arabic Language and Literature

Shahid Chamran University of Ahvaz-Iran

Ahmed Kazem Nayef

MA student of Arabic Language and Literature at Shahid Chamran University of Ahvaz-Iran

الملخص

هذه الدراسة تسلط الضوء على مفهوم الانزياح الدلالي من حيث الصورة الجمالية وتمييزها من نص أدبي إلى آخر والمعيار الأساسي من حيث بروزها كأسلوب فني في لغة الخطاب الأدبي وقد تناولت الدراسة الانزياح الدلالي للشاعر السيد محمد سعيد الحبوبي وبيان مدى وكثرة استخدام تلك التقنية الأسلوبية الجمالية لنماذج من أغراضه الشعرية التي كثرت فيها الانزياحات وشرح جمالية التلوين في الدلالات غير المألوفة في المعاني الدارجة في الخطاب الطبيعي من حيث المعيارية التي وضعت للكشف عن ظهور الانزياح الدلالي كأسلوب جمالي مؤثر في القارئين والسامعين. ومما توصلنا إليه أنّ الحبوبي استخدم الانزياح الدلالي أكثر من الانزياح التركيبي ولربما بسبب أحوال عصره الأدبي الذي كان يعد الخروج عن المألوف منقصة كما أنّه برع في إزاحة المعاني الأُول عن الكلام مما يستميل المتلقي للقصيدة الشعرية.

الكلمات الدلالية: الانزياح، الشعر، محمد سعيد الحبوبي.

Abstract

This study sheds light on the concept of semantic displacement in terms of the aesthetic image and its distinction from one literary text to another and the basic criterion in terms of its emergence as an artistic style in the language of literary discourse. The poetry in which there are frequent displacements and the aesthetic interpretation of coloring in the unconventional connotations of meanings in the natural discourse in terms of normative that were developed to reveal the emergence of semantic displacement as an aesthetic method influencing readers and listeners. What we have come to the conclusion is that Habboui used semantic displacement more than syntactic displacement، perhaps due to the circumstances of his literary age، which was considered to be deviating from the familiar، and it also excels in displacing the first meanings of speech، which would appeal to the recipient of the poem.

Key words: displacement، poetry، Muhammad Saeed Al-Haboubi.

مقـدمة

يعد الانزياح من الظواهر المهمة في مستوى التحليل والنقد وجمالية النص والخطاب الأدبي، وتقنية الانزياح مبنية على أهم التحولات النسقية والنحوية التي تطرأ على اللغة العادية فتنحرف إلى لغة شعرية مؤثرة في المتلقي حيث يعتبر الانزياح من أبرز معايير تمييز اللغة الشعرية وكذلك النثر الأدبي عن لغة الخطاب العادي.[١] إنّ الانزياح ظاهرة أدبية تعني الخروج أو الابتعاد عما هو مألوف من اللغة والكلام في الخطاب العادي إلى صور فنية وحسية تجسد رؤية أو أحاسيس الأديب من خلال التلاعب بالألفاظ وبنائها بناءً يخالف المعتاد من الكلام الطبيعي ليكون دلالات جمالية في النص بشرط أن لا يفسد هذا الابتعاد مدلولات اللغة بل تزيدها روعة وثراء. لذلك لا بدّ من إجابات واضحة لسؤالين مهمين حول الانزياح في الادب وهما:

١ – من يحدد مدى جمالية الانزياح في النص الأدبي.

٢ – ما هو المعيار لتحديد أو ظهور الانزياح.

مفهوم الانزياح لغة واصطلاحا

الانزياح لغة في معجم اللغة العربية المعاصرة: «انزاحَ انزياحًا، فهو مُنزاح، والمفعول مُنزاحٌ عنه، وانزاح الشَّيءُ: زاح؛ ذهب وتباعد، وانزاحَ عن مقعده: تنحَّى عنه وتباعد»[٢] أما اصطلاحا يعد مفهوم الانزياح من المفاهيم الواضحة لدى الباحثين والناقدين والمهتمين بالأدب على كل مستوياته ولم يكن هناك اختلاف بهذا المفهوم سوى أسلوب التعبير عن مفهوم الانزياح لديهم، وإنّ أهمّ من عرف هذه الظاهرة هو جون كوهن الذي يرى «أن الشرط الأساسي والضروري لحدوثِ الشِّعرية هو حصول الانزياح، باعتباره خرقًا للنظام اللُّغويِّ المعتاد «[٣] ورأى ريفاتير أن الانزياح «يكون خرقًا للقواعد حينًا، ولجوء إلى ما ندر حينًا آخر، فأما في حالته الأولى، فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذًا تقييمًا بالاعتماد على أحكامٍ معيارية، وأما في صورته الثانية، فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة، والأسلوبية خاصة»[٤] أما قاموس جون ديبوا، فيشير إلى أن الانزياح حَدَثٌ أسلوبي، «ذو قيمة جمالية، يصدر عن قرار للذَّاتِ المتكلِّمة بفعل كلامي يبدو خارقًا لإحدى

(١) محمد بو سعيد – جمالية الانزياح في شعر المتنبي ، مجلة سياقات العدد السابع ، ديسمبر ٢٠١٧.

(٢) أحمد مختار . معجم اللغة العربية المعاصرة . ط١ ج٢ ص ١٠١٤.

(٣) إسماعيل شكري . نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد العدد ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩.

(٤) عبد السلام المسدي. الأسلوبية والأسلوب . ط٣ الدار العربية للكتاب، ص ١٠٣.

قواعد الاستعمال التي تسمى معيارًا، يتحدد بالاستعمال العام للغة مشتركة بين مجموع المتخاطبين بها»[١]. وتظهر قيمة الانزياح في النص مقارنةً و اعتمادً على مادة الخطاب العادي التي تعجز أن تستجيب لكل حاجات الإنسان في نقل ما يريد نقله او إبراز كل كوامنه. وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا.

المصطلحات المرادفة والتاريخ

يثير مصطلح « الانزياح إشكالية كبرى في الدراسات الأسلوبية الحديثة، كما تستقطب أسلوبية الانزياح كما وافرا من الكتابات الأسلوبية المعاصرة، ويقابل هذا المفهوم مجموعة من المصطلحات، مثل الانحراف، والمتنافرة، والغرابة غيرها. وقد نقل هذا المفهوم إلى العربية بما لا يقل عن أربعين مصطلحا يمكن أن نجد شفيعا لها في أن الغربيين أنفسهم قد عبروا عن هذا المفهوم الواسع بمصطلحات كثيرة يقارب عددها العشرين.

أما في الدرس البلاغي العربي فقد عرف نقادنا القدامى هذه الظاهرة الأسلوبية من خلال عدة أسماء واصطلاحات: كالعدول والانحراف والتجاوز والالتفات وخرق السند وغير ذلك، ومن الملحوظات المبكرة في التراث العربي حول هذا المفهوم: ما ذهب إليه بعض النقاد من « أن الجاحظ قد أشار في (البيان والتبيين) إلى مستويين في اللغة: المستوى العادي في الاستعمال، والمستوى الفني في الاستعمال الخاص، و يقترن المستوى الأول بطبقة العامة، وغرضه إفهام الحاجة، أما المستوى الثاني فغرضه البيان البليغ، ويتميز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللفظ وينفرد بالتجويد والتماس الألفاظ وتخيرها[٢]

لقد كان العرب القدامى متيقظين إلى وجود مستويين من الكلام، واعترافهم: للشعراء بأنهم أمراء الكلام وكما ورد على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي يصرفونه أنى شاءوا، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتغيره، ومد مقصوره وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتفريق بين لغاته، واستخراج ما علت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإفصاحه، فيقربون البعيد ويبعدون القريب، ويحتج بهم، ولا يحتج عليهم.[٣] وقد أوغل المفكرون العرب الأوائل في هذا الشأن، وسار العرب المحدثون على هذا المنوال، وتعددت الدراسات الحديثة خاصة عند تحديدهم لمفهوم هذا المصطلح الذي نتج عنه جدل كبير.

لقد تمكن الدكتور منذر عياشي من خلال دراسته لمصطلح الانزياح من تحديد مفهوم أولي، وذلك عند حديثه عن اللغة والمعيار: (ثمة معيار يحدده الاستعمال الفعلي للغة، ذلك لأن اللغة نظام وإنْ تقيد الأداء بهذا

(١) سامية محصول . مجلة دراسات أدبية العدد الخامس فبراير ٢٠١٠.

(٢) د. نوار بو حلاسة . مجلة مقاليد / العدد الثاني/ ديسمبر ٢٠١٢.

(٣) عبد الحليم راضي / نظرية اللغة في النقد العربي ص ١٦ .

النظام هو الذي يجعل النظام معيارا، ويعطيه مصداقية الحكم على صحة الإنتاج اللغوي وقبوله). من خلال هذا القول ندرك جليا معيارية اللغة وما مدى خضوعها لهذا النظام المعياري إذ أن هذا المعيار هو المحدد الأول لصحة الإنتاج اللغوي .كما أن منذر عياشي ذهب إلى تعريف الانزياح من خلال قوله: « أما الانزياح فيظهر إزاء هذا على نوعين: إنه إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج على النظام اللغوي نفسه « من خلال القول الذي بين أيدينا ندرك جليا انه سعى إلى إيجاد مفهوم لمصطلح الانزياح الذي وقع في شباك فوضى المصطلح، نظرا لصعوبة تحديد مفهوم شامل لهذا المصطلح، وهو على حسب منذر عياشي يقع على وجهين أحدهما خروج على النظام اللغوي في حد ذاته وهذا أبلغ وأوسع من سابقه[١] .

وذهب عبد السلام المسدي في دراسته لمصطلح الانزياح إلى ما عرجت له معظم الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية نفسه، ولعله اهتم بضبط مفهوم الانزياح باعتباره حدثا لغويا جديدا يتباعد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف وينحرف بأسلوب الخطاب عن القواعد اللغوية وهذا ما يشكل في الخطاب انزياحا[٢] .

فيما كان صلاح فضل في دراسته لمصطلح الانزياح إلى أبعد مدى، حيث عرفه بالانتقال المفاجئ للمعنى .فقد اشتهرت في الدراسات النقدية عبارات مؤداها أن وظيفة الشعر إيحائية وهي صحيحة إلى حد كبير، فالنثر ينقل أفكارا والشعر ينقل عواطف ومشاعر و أحاسيس، وعلى سبيل المثال نقول: عن القمر: الكوكب الذي يدور حول الأرض، ويقول عنه الشاعر: المنجل الذهبي فكلاهما يشير إلى الشيء نفسه (القمر) ولكن التعبيرين يختلفان في الدلالة ويثيران طرقا مختلفة في الوعي به[٣].

الدراسات السابقة

هناك دراسات عديدة حول الانزياح في الشعر والنثر، وبمتابعتنا لهذه الدراسات لم نعثر على بحث درس الانزياح في أشعار الحبوبي، ومن هذه الدراسات ما يلي:

- رسالة ماجستير بعنوان (الانزياح في شعر سميح القاسم»قصيدة عجائب قانا الجديدة «أنموذجا- دراسة أسلوبية) إعداد الطالبة وهيبة فوغالي في جامعة أكلي محند أولحاج بدولة الجزائر.
- وبحث (ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس) للباحثين علي نظري و يونس وليئي مجلة دراسات الأدب المعاصر في جامعة الحرة بالجمهورية الاسلامية الايرانية.
- و بحث(شعرية الانزياح في شعر محمود درويش) للأستاذ محمد مصطفى عبد الرحمن كلاب، مجلة مَجمع

(١) منذر عياشي / الأسلوب وتحليل الخطاب ص ٢٠٤ .
(٢) نور الدين السد/ الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: ٢٠٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢٠٥.

بدولة ماليزيا.

- و بحث (ظاهرة الإنزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب) للاستاذ صالح علي سليم الشتيوي، مجلة جامعة دمشق العدد(٤+٥) .

- أطروحة (الانزياح في الشعر العربي المعاصر أحمد عبد المعطي حجازي (نموذجا) دكتوراه الدولة (في الأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر.

- بحث(الانزياحُ الكتابي في الشعر العربي المعاصر (دراسة ونقد) للكاتبين علي أكبر محسني و رضا كياني، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها جامعة سمنان.

أنواع الانزياح

إن أهمية الانزياح لا تنحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص، و إنما تشمل أجزاء كثيفة متنوعة متعددة، فإذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات و جمل، فإن الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات و هذه الجمل. وربما صح من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح، فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللّغوية ما يسمى «الانزياح الاستبدالي»، و أما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، سياقا قد يطول أو قد يقصر، وهذا ما سمي الانزياح التركيبي .[١]

الانزياح الدلالي:

ويعني الانتقال في المعنى الحقيقي الأساسي أو المعنى المعجمي للكلمة إلى المعنى السياقي الذي تاخذه الكلمة حينما توضع في سياق معين يحدده معنى الجملة بأكملها حيث تنزاح الدوال عن مدلولاتها فتختفي نتيجة لتلك الدلالات المألوفة للألفاظ لتحل مكانها دلالات جديدة غير معهودة يسعى إليها المتكلم[٢].

إن الانزياح الدلالي أكثر المستويات اللغوية مرونة ويستخدم فيه الانزياح أكثر من غيره وهو الذي يتعلّق بجوهر الوحدة اللّغوية أو بدلالتها مثل الاستعارة، والمجاز، والكناية والتشبيه أما الاستعارة فتمثل عماد هذا النوع من الانزياح، نظرا لأهميتها ولما لها من فوائد جمة في البناء الأدبي الشعري فقد تناولها كثير من الباحثين والأدباء القدامى، واللغويين واللسانيين المحدثين على حد سواء، وكما هو الشأن بالنسبة للبلاغة القديمة ككل، وكذا بالنسبة للشعرية الحديثة هناك خرق لقاعدة وعدول عما هو عادي، هناك زيادة على المطلب

(١) بن الدين بخولة / الانزياح الدلالي وأثره في تطور اللغة، مجلة جسور المعرفة، (جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف) الجزائر،٢٠١٧م،ص٨٦.

(٢) جون كوهن / بنية اللغة الشعرية / ص ٢٠٥ .

اللغوي الصرف وهذا يؤكد أن الخطاب الأدبي هو لغة ثانية مشاكسة لقانون اللغة الأولى بشتى الصور، ومن هذا القانون ندرك أن الشعر لغة ثانوية متميزة عن اللغة الطبيعية .[١]

الانزاح التركيبي (النحوي)

وهو ما يتعلق بتركيب الجملة فيعتمد على التقديم والتأخير والحذف وغيرها من الأمور التي تحققت في اللغة الشعرية فإنها بلاغة وجمالا قد لا يتحقق مع الترتيب الطبيعي لبنية الجملة، فالانزياح التركيبي هو مخالفة التراتيب المألوفة في النظام الجملي من خلال بعض الانزياحات المسموح بها في الإطار اللغوي، وإن هذا النوع من الانزياح يقع في الروابط الموجودة بين المدلولات في التركيب الواحد أو مجموعة من التراكيب فكل تركيب خرج عن القاعدة النحوية المعتادة وأصول الجملة قد يطول أو يقصر وهذا ما يسمى بالانزياح التركيبي.[٢]

الانزياح بين الجمالية والمعيار

يعتمد النص الأدبي على عناصر إبداعية تميزه عن النص العادي وتلك العناصر هي أساس الدراسات الجمالية على هذا النص وهي الدراسات والتنظيرات التي تهتم بالتعبير الأدبي ويوحدها مصطلح ما يعرف بعلم الجمال الأدبي الذي يستهدف دراسة الاصول والمعايير والنظريات والمدارس الجمالية التي تتناول أساليب التعبير الأدبي في اللغة من نثر وشعر، ان عناصر الابداع الأدبي من ثمار العمل الأدبي الذي يكون له متلق يتفاعل مع النص الأدبي حينما يرى من عناصر الابداع بواعث على الاستجابة الجمالية التي تتنوع في الشعر والنثر بتنوع جوانب النص الأدبي، وإن الاستجابة الجمالية لا تأتي مدركاتها إلا للمتذوق الذي لديه القدرة على إدراك جوهر العمل الأدبي من خلال البصيرة والإدراك .[٣]

وبهذا فإن الجمال في النص الأدبي يتفاوت من نص إلى آخر بحسب المؤثرات التي تطرأ على هذا النص وبما أن الانزياح في الأدب يعتبر من أهم مقومات الجمال في النص لا سيما أن بروزه يكمن بشكل كبير في الشعر كونه يعتبر الأساس في اللغة الشعرية ونستنج من ذلك ان الانزياح اسلوب تتفاوت جماليته من نص إلى آخر حيث يأتي تذوق الجمال في النص تبعا لثقافة وبيئة ونفسية المتلقي.

---

(١) بن الدين بخولة / الانزياح الدلالي وأثره في تطور اللغة، مجلة جسور المعرفة، (جامعة حسيبة بن بو علي- الشلف) الجزائر،٢٠١٧م، ص٨٧.

(٢) د. ايمان شعبان / الانزياح في شعر أبي نؤاس / كلية اللغة العربية بأسيوط المجلة العلمية/ العدد ٣٧ ج٢ ٢٠١٨.

(٣) م.م أمير عبودي / أثر التمثلات الجمالية في تحليل النص الأدبي / مجلة مركز الدراسات اللغوية العدد ٤٣ سنة ٢٠١٦ ص ١٤٦.

ويمكن تحديد نوعية الرؤية الجمالية للانزياح التي تنقسم على الحكم الجمالي والذوق الجمالي والفرق بينهما، فالذوق الجمالي ردة فعل حسية للمتلقي ناتجة من وسائل تحاكي الذوق والإدراك الناتج من الحس الفني المرهف، وهو الذي يقوم بوصف الجمال في النص الإبداعي أما الذي يقوم بتقييم الجمال هو الحكم الجمالي والحكم الجمالي من تخصص الناقد فهو يقيم الأعمال الإبداعية .[١]

ويتفق الباحثون على الأثر الجمالي لظاهرة الانزياح الذي يتمثل في الجدة والغرابة التي يحققها الانزياح، كما أن «جون كوهن» يرى أن للانزياح قيمة جمالية، وهو في حد ذاته يحمل هدفاً خاصاً وهو فك بناء اللغة الذي عرفت عليه إلى بناء آخر كما أنه رفض الوظيفة الاتصالية للغة، والتحويل النوعي للمعنى الموصوف، من معنى تصوري إلى معنى شعوري، و لا يستطيع أحد إنكار أن محاولة إدراك الأسلوب على أنه انحراف عن المعيار الموجود خارج النص، وعلى أنه انحراف مقصود من المؤلف لأغراض جمالية محددة.[٢]

ومن جماليات الانزياح لفت الانتباه ومفاجأة القارئ أو السامع بشيء لم يكن له سابق علم به، وهو الدافع الأول وراء كل قارئ عند دراسته أي نص، وبذلك فهو يسعى إلى إبعاد الملل من خلال رحلته المتواصلة في البحث عن كل ما هو جديد ومخالفة النظام المعتاد وبعض علماء الأسلوب يميلون إلى اعتبار الانزياح حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ .[٣]

أما المعيارية في تحديد الانزياح في النص الأدبي فيميل بعض الدارسين إلى أنّه يمكن اعتماد لغة النثر معيارا صالحا يقاس عليه الانزياح، فهي مثال للغة محايدة بينما لغة الشعر مشحونة بالانفعالات والسمات الأسلوبية والقيم التعبيرية وينبغي أن تقارن بمستوى آخر تنعدم فيه هذه السمات ولا يكون ذلك إلا في النثر الذي يمثل اللغة الطبيعية الشائعة، فالنثر هو بالتحديد اللغة الطبيعية اما لغة الشعر فلغة الفن أي لغة مصنوعة وكون النثر هو اللغة الشائعة يمكن ان نتحدث عن معيار تعتبر القصيدة انزياحا عنه .[٤]

ويشير عبد الرحمن المسدي إلى أن الانزياح مقياس تنظيري مشترك بين أغلب التيارات التي تجعل من الخطاب منطلقا لتحديد الاسلوب ويستمد هذه المقياس تصوره من علاقته باللغة باعتباره خروجا عليها أي خروجا عن الاصل [٥] وتظهر الصلة القوية بين الانزياح والمعيار في قول جون كوهن ((لا بد قبل أن نعرف ما المجاوزات

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٨ .
(٢) جميلة مداور ، نهلة فتاح / أسلوبية الانزياح ودورها في تحليل النص ص٣٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٤ .
(٤) جون كوهن / بنية اللغة الشعرية / ص٢٣-٢٤ .
(٥) عبد السلام المسدي / الأسلوبية والأسلوب، ص: ٩٧-٩٨ .

(الانزياحات) لا بد أن تكون لدينا القدرة على تجسيدها بوصفها مجاوزات وهذا لا يمكن ان يتم الا من خلال المقارنة مع المستوى العادي.

الانزياح الدلالي في شعر السيد محمد سعيد الحبوبي

يعتبر الشعر تجربة شعورية تنطلق من فكرة أو إحساس أو وصف صورة، وليس من شروط الشعر أن يكون حدثا واقعيا، بل يمكن أن يكون صنعة من تخيلات وتصورات عاطفية وخيالية لينتج منها عملا أدبيا متكاملا ومؤثرا في القارئ والسامع، ويعتبر شعر السيد الحبوبي مثالا لهذه التجربة فهو إرهاصات شعورية واقعية ومتخيلة مليئة بالإحساس وبالحزن والفرح والحب في واقعيته وتعبير عن صدق العاطفة. ومتخيلة في خمرياته والمغامرات الغرامية.

وقد استخدم الحبوبي تقنية الانزياح في العديد من أغراض شعره التي عرف بها وتميز بها من شعراء عصره مضمنا فيها تجاربه الشعورية وعواطفه ورأيه في الحياه والناس و ثقافته بكل أنواعها سواء أكانت دينيه أم لغوية وبلاغية[١] ونستعرض بعض هذه الأغراض لكثرة استخدام الانزياح فيها:-

الانزياح في الغزل:

لو قرأنا الأبيات التالية:-

يَــا غَــزَالَ الكَــرخِ وَا وَجــدِي عَلَيــك كَادَ سِرّي فِيــك أن يَنتَهِــكَا
هَــذِهِ الصّهبَــاءُ وَالــكَأسُ لَدَيــك وَغَرَامِــي فِي هَــوَاك احتَنَــكَا
فَاســقِنِي كَأسَــاً وَخُــذ كَأسَــاً إليــك فَلَذِيــذُ العَيــشِ أن نَشــتَرِكَا

نجد انّ الحبوبي في هذه الابيات استخدم صور شعرية مأخوذة من معاناة العاشقين في اللوعة فاستخدم كلمات وظفها في هذه الأبيات الغزلية التي نسجها في خياله الواسع فاستخدم إنزياحات أعطت صوراً شعريه جميلة[٢] والحقيقة أن السر لا ينتهك بل يفشى أما الانتهاك يعبر به للتجاوز على العرض أو الوطن وهذا غير مألوف في الكلام الطبيعي مشبه سره الذي يقصد به حبه له سوف ينتهك وكذلك في البيت الثاني أكد أيضا أن غرامهُ قد احتنك والاحتناك هو للدابة حينما يوضع حبل أسفل حنكها ليقودها به استخدمها يُعبر بها عن مدى سيطرة هوى الحبيب بغرامهِ فقد انزاحت كلمة احتنكا عن دلالتِها ومعناها.

وكل تلك الالفاظ من (ينهك، يختنك، لذيذ) استخدمت بتقنية فنية من قبل الشاعر وأخذت للتعبير عن

(١) ديوان محمد سعيد الحبوبي، جزءان في مجلد واحد، دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م ص ٨٦.
(٢) المصدر السابق: ص٨٠.

تجربتهِ الشعورية لوّنها عامل تميز للخطاب الشعري ودور جمالي يسهم في لفت انتباه القارئ بهدف التأثير فيه وتوصيل الرسالة التي يريدها الخطاب[١] .

ويُعتبر الحبوبي من الشعراء الذين اتخذوا من الشعر العربي الأصيل مثلهُ الأعلى فقد صاغَ شعرهِ بشفافية بعيداً عن عصرهِ الذي عاش فيه وأكسى عليهِ الذوق ومبتعداً عن الوعورة بحيث يوافق ذوق كل العصور[٢] ويعود الفضل بهذا إلى استخدامهِ الانزياح في شعره الذي يوافق ما ذُكر آنفاً ويحس القارئ بشاعرية الحبوبي ولطافة انزياحاتهِ من حيث الغزل في الأبيات التالية

دُمُوعِـي وَهِـي حُمـرٌ مُرسـلاتٌ وَشَـت بِي عِنـدَ أَهلِـكَ لا الوُشَـاة
أَتَنكُـرُ يَـا أَخَـا القَمَرَيـن لَثمِـي وَفِي خَدّيـك مِـن شَـفَتِي سِـمَات ؟

ومن هذه الأبيات يشعر المتلقي بالدهشة أمام هذه المفارقه التي استخدمها الحبوبي بإسناد الوشاية للدموع وهذه خلاف للمألوف من اللغة العادية وكسر لقوانين الكلام. وإن من أهم أسباب كثره الانزياحات في شعر الحبوبي أنهُ ابتعد وبشكل كبير عن الشعر التقليدي والأغراض الشعرية التي لا تمت بصلة للعاطفة والخيال كالمنظومات العلمية والأحاجي وغيرها؛ لذاك حرص أن يكون شعره واسع الخيال والعاطفة وكان هدفه هو استحسان المتلقي لشعره بكافه أغراضه واستدل على هذه بالبيت:

وَلَسـتُ كَسَـائرِ الشُّـعَرَاء شِـعرِي تَعُـودُ أن يُثـابَ وَلا يَثِيبَـا

وحتى في هذه البيت استخدم انزياحاً جميلا عكس فيه مدى قوه شعره لدى المتلقي فعبره عنه بالشعر الغزير وهو مطلوب، سعى وراءه الناس وإن استخدام لفظه يثاب انزياح عن المألوف وتلوين اخر من الكلام ليضفي الجمال والاستحسان في هذه البيت.

الانزياح في المديح

كان أسلوب السيد الحبوبي في هذا الغرض من أشعاره لا يختلف عن أغلب معاصريه فهو تعبير صادق لممدوحيه لا وسيلة لِكسب المال أو مغنم وقد استخدم الانزياح فيه على مستوى الألفاظ المفردة أو على مستوى الجمل والمعانى وهذه كلها إنزياحات دلاليَه فيها خروج عن المتعارف عليه من لغة الخطاب فمن تلخيصاتهِ البارعة قولُهُ في الغزل يُراد بهِ مدح صديق لهُ:

(١) بـن الديـن بخولـة / الانزيـاح الـدلالي وأثـره في تطـور اللغـة، مجلـة جسـور المعرفـة، (جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف) الجزائر،٢٠١٧م، ص ٨٥.

(٢) ديوان محمد سعيد الحبوبي، جزءان في مجلد واحد، دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م ص ٨٤.

شــقَ ديباجــة خديــه الجــمال مــذ بدتــا المخــضر مــن عارضهــا
ســنةُ دبــت بهــا رجــل النمــال لا يقــوم العــذر مــن لافظهــا.

وهنا كان الغرض من الغزل هو المدح الذي أراد به صديقة، وكثر استخدام الحبوبي للانزياح وبروز هذهِ الظاهرة في شعرهِ ساعدتهُ كثرته في المبالغة وفي المديح ومن هذه المبالغات في مدح صديق لهُ لِكرمه:

سرٌ بكفك لم يغرق مُقبلها وقد تلقى بفيهِ ديمة المطرِ

فقد عبر من خلال انزياح جميل في مدح كرم صديقه ورمز لهُ بديمة المطر أي وفرة المطر الذي يرمز لوفرة كرمه وكذلك كفّيه التي فيها كرم وعطاء ينجو منها كل يقبلها شجاعة

وقولهِ أيضا في أحد ممدوحيه:

يخشــاه حتــى الســيف في يــده فيــكاد يقطــع حــده قطعــا

أي أسند الخشية التي تطلق على العاقل إلى السيف الذي هو بالأصل جماد ولكن هناك انزياح دلالي جميل من شجاعة من قيل فيهِ هذا البيت. وكذلك قال في مدح أخوين من بيت عريق.

وإذا الفخار غدا هناك حلبة وكبوا مساعيهم فكن جيادا

فهو انزياح له دوي معنوي يملأ النفس قبل السمع ويهيمن على الحس بفخامة جودتهِ فقد جعل مساعيهم جياداً ركبوها ليُنافسوا على الفخرِ والعظمة، فقد أخذ الحبوبي من أسلوبِ بلاغيٍ في توظيفه والالتفاف عما هو مألوف في التشبيه العادي وهو بارع في تقديم الصور الشعرية المخملية النابعةِ من خيالهِ الخلاق. كما في قطعة الحبيب لهُ:

قــد قطعــتُ الوِصــال عنــي حتــى ليــس يحكيــك صــارم في المضــاء

وقولهُ في تشبيه حياة فقيد توفي شاباً:

قــد كان لبثــك في تقــادم عهــدهِ لبــث المــسرة في حشــا المكمــود

وقولهِ في الليل الطويل الذي لا يطلع صباحه:

كأن الصبــح ســيف في جفــيرٍ تقلــده الجبــان فلــن يســلا

إن التشبيه في هذهِ الأبيات أساساً لِرسم الصورة في وصفه ولولا استخدام الحبوبي انحرافات وانزياحات عن الوصف العادي للكلام لما تمكن من خلالها إيصال دلالات وصفيه وحسيه للمتلقي وإعطاء صور فنية راقيه للمتلقي، ففي البيت الأول أعطى السيف روحاً ناطقه في محاكاتهِ للقطيعة التي حدثت بينهِ وبين حبيبهِ وثبت كتابات السيف في الغرام والشدة، وفي البيت الثاني شبه مدى الحياه الفقيد الشاب كالمسرة (الأفراح) التي تأتي للإنسان الحزين والكئيب قليلة جداً وقصيرة، تلك الصورة الرائعة التي تؤكد ان الشاعر قد يتلاعب ببراعتهِ في

الألفاظ واستخدام الدلالات والمعاني، وأيضا في البيت الثالث استخدم الأسلوب نفسه في تشبيه طول الليل الذي لا يجيء صبحهُ بالسيف الذي يقتنيهُ الجبان فإنه لا يُسل أبداً من غمدهِ.

فالشاعر هنا يتمتع بملاحظه خصوصيه في التشبيه تجعلهُ يتميز من غيرهِ من الناس العاديين وهو حاذق لهُ القدرة الذهنية التي تجعلهُ يرى أبعد مما ترى وأدق ولا يكتفي بالنظرة السطحية للأشياء بل انهُ يحاول ينفذ إلى حقيقتها، وهذهِ المحاولة هي التي تجعل الشاعر لا يقبل ما يألفهُ الناس بل يتجاوز إلى النادر الذي لا يعاد والغريب الذي لا يؤلف لذلك يعطى انزياحاً جمالياً[١].

الانزياح في الوصف

أما في الوصف فقد كان الحبوبي يستخدم صوراً غير واقعية في رسم لوحة فنية متحركة، فقد كانت انزياحاتهِ في الوصف ليست على مستوى الألفاظ فحسب بل تعدت للصورة غير العادية والمألوفة فقد وصف حالة فزعه من سماع نعي صديق لهُ:

هو الرزء الجليل فلا تعده ... على سمع يضيق لهُ استماعا
أسدٌ مسامعي بيد وأخرى ... أسدَّ بها فم الناعي ارتياعا
إلى أنْ أرعشت كفي رزايا ... تساقط ساعداي لها انخلاعا

في هذه الأبيات صورة رسمها الشاعر في وصف حالته عند سماع نعي صديقه كيف تتحرك يداه فإحداها تذهب إلى أذنه تسدها عن سماع النبأ المفجع وأخرى تتحرك نحو الناعي تسد فمه ولكن الحيلة لم تثمر فيداه يرتعشان وينخلعان للحقيقة المرة وهي صوره فنية ذو مدلولات جمالية منزاحة في ألفاظها عما هو مألوف في التصوير الحقيقي، وكذلك هذه الأبيات التي تصف حبه العفيف:

هوى قد ضاق صدر الصب فيه ... ولازمه فعاد به رحيبا
أقام بعينه فغدا سهادا ... وحل بقلبه فغدا وجيبا

فإسناد ضيق الصدر يصدر للصبابة والاشتياق مروراً بعين الصب وكذلك بقلبه الذي جعله يخفق وهذهِ الصفات الجسمية لا تتوفر في الصبابة والاشتياق وإنها صفات إنسانية حية، فيها وصف كثير للانزياحات الدلالية والتلوين اللفظي والتلاعب بالمعاني وإسنادها على خلاف المألوف ابتداء وبذلك فإن الانزياح في شعر الحبوبي يوحي ويومي ويشير فاتحا للقارئ افقاً واسعاً من التصوير والصور مؤسسا لهُ مناخاً من التخيلات وهو

(١) جابر عصفور، الصور الفنيه التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي ط٣ ١٩٩٢ ص ١٨٨.

محاكاة للواقع عن طريق أعاده توظيفهِ بانزياحات متنوعة[١]. الشاعر يصور لنا أشياء بلغه انزياحاته لأن اللغة العادية لا تقدر على تصويرها ونقلها على الصورة التي يريدها الشاعر أن تصل إلى ذهن المتلقي وتهزه وتؤثر فيه[٢].

وبرزت هذه الظاهرة والأسلوب في الانزياح كثيراً في شعر الحبوبي، لأنّ شعره جاء محاكياً لشعر القدماء بنكهة تجديد واضحة، حيث ظهر بشكل جلي أنهُ يستهدف أوصاف أشياء ويكني بها أوصاف أشياء أخرى وهذا النوع من الانزياخ له دوي معنوي بارز .

الانزياح في خمريات الحبوبي

الانزياح في شعر الحبوبي على مستوى خمرياتهِ واضحاً بكثرة وهذا اللون من الشعر امتاز فيه الحبوبي من معاصريه وتميز بالوفره والشمول بحيث لم يدع أمراً من خصوصيات الخمرة الا وتناولها فوصف لونها ومذاقها ورائحتها وعمرها الطويل لذلك أخذ الأنزياح المتمثل في الخروج من المألوف بأدواته التشبيه والمجازيه والاستعاره والكناية بارزة في خمرياته كما في البيت التالي:

كالشمس تعبث في النادي أشعتها إن لاح من وجنة الساقي لها شفق

وكذلك ظهر الانزياح الدلالي واضحاً وكان وسيلة الحبوبي في البيتين اهمية الخمرة في العلاج النفسي والروح الحزينة والمتعبة:

هاتها تشرق في أكوابها صبغت ثوب الدجى لون الصباح

علّ نفسي من ضنا أوصابها تجد البرء ويعروها إرتياح

فظاهرة الإشراق لدى الحبوبي في هذا البيت انزاحت عن معناها الطبيعي والتكويني واخذ مدلولها ليوظفها في وصف الخمرة في الأكواب وكيف برزت حتى أنها لونت وأضاءت الصباح بدلا من شروق الشمس فإن فاعلية الصورة الفنية تأتي من إمكانيتها الجمع بين الحقائق المتباعدة وإقامة العلاقات الطريفة بين الأشياء وتتناسب طرافة هذه العلاقات طردياً مع فاعلية هذه الصور[٣]. والحبوبي شاعر العاطفة الجياشة مزج الخيال الواسع الأدبي مع لغته الرومنسية التي استخدم فيها انزياحات دلالية عديدة من تشبيهات واستعارات ومجازات وذلك في أغراضه الشعرية من عزل ومدح وغيره .

(١) خيره معنى ونصيره سعاد: جمالية الانزياح في شعر الأخضر فلوس، جامعة الجيلاني بو نعامة ٢٠١٦ ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦١.

(٣) ينظر، وجدان الصائغ، الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعر الاخطل الصغير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٣ ص.٢٧

النتائج

مما سبق أصبح واضحا أنّ الانزياح هو خروج عن القاعدة في اللغة العادية أو الابتعاد عن المألوف من الكلام العادي بالنسبة للخطاب ولكن هذا لا يعني أنّ الابتعاد أول العدول أو الانزياح عن المألوف هو المعيار الأساسي للانزياح، أي إنّ القاعدة أو المعيار في هذه النظرية صحيحة بالنسبة للقياس التطبيقي لفهم ظاهرة الانزياح ويمكن له أن يكون خروجا عن المألوف والتنويع بالدلالات والتراكيب السياقية شريطة أن لا يفسد سياقات ومضامين أصول الكلام والخطاب بشكل عام، وإنّ ذلك لا يتم إلّا بتحقق الجمالية المنشودة في النص الأدبي شعراً كان أم نثراً على الرغم من تفاوت الأسس تبعا للقارئ أو المتلقي أو الناقد ودور كل منهم في تحديد جمالية النص؛ لذلك يرتبط الانزياح في شعر السيد الحبوبي ارتباطا وثيقا بجماليته كنوع من أنواع الأسلوبية في الخطاب الأدبي الذي يهدف إلى إحداث صدمة ومفاجأة وتذوق لدى المتلقي يمكن من خلاله أن نفرق بين لغة الأدب عن اللغة الطبيعية وهذا هو المعيار الأساس في الانزياح الدلالي الذي ظهر في شعر الحبوبي فهو يعطي جمالية في الخطاب دون إفساد أيّ من القواعد اللغوية بل على العكس يزيدها ثراء وروعة ويمكن أن يلبي حاجات المتلقي التي لا يمكن للغة الطبيعية تلبيتها.

المصادر

١. محمد بو سعيد – جمالية الانزياح في شعر المتنبي ، مجلة سياقات العدد السابع ، ديسمبر ٢٠١٧.
٢. إسماعيل شكري . نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد العدد ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩.
٣. سامية محصول . مجلة دراسات أدبية العدد الخامس فبراير ٢٠١٠.
٤. د. نوار بو حلاسة . مجلة مقاليد / العدد الثاني/ ديسمبر ٢٠١٢.
٥. بن الدين بخولة / الانزياح الدلالي وأثره في تطور اللغة، مجلة جسور المعرفة، (جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف) الجزائر،٢٠١٧م.
٦. جون كوهن / بنية اللغة الشعرية .
٧. د. إيمان شعبان / الانزياح في شعر أبي نؤاس / كلية اللغة العربية بأسيوط المجلة العلمية/ العدد ٣٧ ج٢ ٢٠١٨ .
٨. م.م أمير عبودي / أثر التمثلات الجمالية في تحليل النص الأدبي/ مجلة مركز الدراسات اللغوية العدد ٤٣ سنة ٢٠١٦.

٩. جميلة مداور ، نهلة فتاح / أسلوبية الانزياح ودورها في تحليل النص .
١٠. عبد السلام المسدي / الأسلوبية والأسلوب .
١١. ديوان محمد سعيد الحبوبي، جزءان في مجلد واحد، دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م .
١٢. جابر عصفور، الصور الفنية التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي ط٣ ١٩٩٢ .
١٣. خيره معنى ونصيره سعاد: جمالية الانزياح في شعر الأخضر فلوس، جامعة الجيلاني بو نعامة ٢٠١٦ .
١٤. وجدان الصائغ، الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعر الاخطل الصغير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٣.